

جلال الدين منكبرني*

للدكتور عبد الوهاب عزام

سارت جيوش التتار تقذف بالموت والدمار. «وفتحت
يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون». خرَّت
المدائن لصولتهم فأسروا وقتلوا، ثم سلطوا الماء والنار،
فأخربو ودمروا. وانطلقوا في جحافل من السيوف والسهام
والنار والدخان، والدماء والماء، والهول والفرع.

وعلاء الدين ملك خوارزم. قد أوقد النار فلم يستطع
إطفاءها، وفتح باب الشر فلم يقدر على إغلاقه. لم يفن جده،
ولم تثبت عزيمته. فما زال يهجر المدينة بعد المدينة حتى اعتصم
بجزيرة في بحر الخزر فهلك بها

ورث جلال الدين ملك أييه. وإنما ورث الضراب
والطعان، وعرشا في أشداق المنون، تخاض إليه الأهوال،
وتقطعت دونه الآمال. لقد ذهب الملك وعلاء الدين معا،
وورث جلال الدين دين أييه من الكفاح والنضال، ورث
القتال الحاضر، والملك الغابر

هلم جلال الدين! أدفع عن رعيتك مالا يدفع، واختبر
لنفسك وليس في الشر خيار:

هما خططنا إما إيسار وذلة وإما دم، والقتل بالحرأجار

(٠) جلال الدين خوارزم شاه ابن محمد علاء الدين السابع من ملوك الدولة
الخوارزمية. تولى الملك بعد أبيه سنة ٦١٧ وقاتل سنة ٦٢٨ هـ

ألم تحمل لي هذا الزهر يوماً من الأيام؟

وهل هذا اليوم ينسى مع الأيام؟

اني لأرجو أن تبقى الزهرية بعد اليوم عاطلة على الدوام،
فهي عاطلة أحب الي مني حالياً بعد هذا اليوم الذي أخشاه
ستظل كنفسى التي تحمل دوناً ذكريات كن في يوم من
الأيام.... حقيقة موجودة. وواقعة مشهودة....

راشد رستم

المعادي

تبسم الفتاة بسمات اللطف والرفقة، وكأني بها تعلم سرى
عن الزهرات وهي تجمعها فتحدثها به جهراً تقول:
ما أحلاك أيتها الوردة الحمراء، المملوءة عطراً وعطفاً وشوقاً
وحراة! وأنت أيتها الزهرة الفاتنة مثال الرشاقة والخفة
والحلاوة!.. وأنت يا حبيبة الفؤاد! تعالى تعالى يا زهرة
الحب والاخـص والحنان!.. أما أنت فيا للفتوة وباللهياة!
وما أسعد الفتي بالفتاة! وأنت ياربة الدلال والكمال. تقدمي!
تقدمي! خذي مكانك هنا بين زميلاتك الرشيقات!

هكذا كانت الزهرة تناجي وتنادي وتداعب هذه
الزهرات النواعم، وهي تجمعها من هنا وهناك وتنسقها ثم تلفها
في جرزها لتحميها، ثم تلتفت في رقة الفاتنات المائلات
وتقول: تفضل يا حبيب الزهر فخذ زهراتك المحبوبات،
وبودي لو اطلعت عليك معها، أو لو علمت سرها معك!!
ثم تعود مسرعة الى زهرها

نعم أتيت اليوم بذلك الزهر الذي تحبه... «روحي»،
وهي لا تعلم أنني جئت به!
ليس له اليوم شريك من زهرات آخر
هذا الزهر الذي تحبه... أشمه يوماً في كل عام،
فيحيني طول العام!

وبعد.. فليس له عندي هنا زهرية تصونه وتماشيه،
ولا بد له من زهرية خاصة ترضيه وتحميه وتحبه
ولكن هل أخشى هذه الزهرية ألا تحمل الى هذا الزهر
يوماً ما؟

أم هل أخشى هذا الزهر ألا يكون في هذه الزهرية يوماً ما؟
أم أخشى يوماً تحمل الى فيه هذه الزهرية زهراً غيره؟
نعم. قد يأتي هذا اليوم الذي أخشاه، وقد أرى بعيداً
عني هذا الزهر الذي تحبه... والذي أحب أنا أن أراعه

ولكنني لا أخشى أن تكون الزهرية يوماً عاطلة!

تحفز البطل تحفز الاسد ، وتقهر ليثب ، ولكن المغول كانوا في إثره حيثما سار ، يطوون وراءه الليل والنهار ، حتى خرج من ملكه وقارب الهند. وهناك صف جلال جنده وهم : عصاة ليس لهم ديار إلا ظهور الخيل والغبار فهزم عدوه الجبار في ست معارك

يلقى المنية في أمثال عدتها كالسيل يقذف جلوداً بجلوداً ولكن طوفان المغول أعظم من أن تثبت فيه صم الجلاميد أو يغنى فيه العزم المرير والبأس الشديد.

فذلكم جلال الدين على نهر السند وأولئك المغول على نهر السند . يكره عليهم كالأسد المحرج ويصدقهم القتال من الفجر الى الظهر ، يموت في يمينه الحسام بعد الحسام ، وينفق تحت عزائم الجواد بعد الجواد . فلما سدت على العزائم سبل النصر ، وضائق بالجمال حيل الابطال ، حمل على عدوه فخطمه ، ثم انثنى الى النهر فاقتحمه ، والموت خزيان ينظر . تلك لجة النهر تموج بجلال الدين وجنده ، وفوقهم من سهام المغول وابل منهمر . وفي الهمم القعساء تستوى الغبراء والدأماء . أعجب الأعداء بهؤلاء الابطال فوقفوا معجبين ينظرون . غرق معظم الجند وخرج البطل ببقايا القتل والغرق ليلقى بهم عدواً آخر . فهذا « جودى » أحد أمراء الهند يغير على البطل المرزأ لينفيه من أرضه . وهذا جلال الدين على العلات يصمد للمغير فيهممه ، ثم جاءه مدد من جنوده فتقدم في أرض الهند وأقام بها حيث شاء على رغم « قراجه » أمير السند وابلتشمش أمير دهلي اذ تحالفا وحالفا عليه الدهر . وما جهد هذا الدهر الا هزيمة

إذا نازلت عزم الكرام كتائبه

أتحسب جلال الدين بلغ من الجهد غايته ، ومن الجلد نهايته ، وقد أعذر إلى المجد والملك والرعية ؟ أتحسبه قد فقد ملكه جميعه ، وهزم في أرض غريبة فهو حري أن يطلب في فجاج الأرض مفراً أو يلتبس في زواياها مستقراً ؟ كلا ! انه فقد ملكه ولم يفقد رجاءه ، ولا عزمه ، ولا إباءه . إن له ملكاً وإن يكن في يد العدو الجبار وإن له عرشاً وإن يكن في ذمة الزمان الغدار . إن أمامه في عراك الخطوب ثمانى حجج تطير فيها بين

المشرق والمغرب همته . وتنقله من حرب إلى حرب صرامته . ويسلبه من مصيبة إلى مصيبة حظه .

يشق بين الأهوال طريقه إلى كرمان ففارس فأصفهان فالرى . ثم يصمد للخليفة العباسى الناصر فيهم جنده ويقتل قائده ويسوق المهزمين إلى أسوار بغداد .

ثم يستولى على تبريز ويتخذها دار ملكه ، ويفير على الكرج كأن أعداءه ليسوا كفاء نضاله . وبينما هو في تفليس جاءه نبأ هائل . وناهيك بخيانة الأعوان في حومة الطعان : أنباء أن براقا الحاحب والى كرمان قد مالاً المغول . فبادر من تفليس إلى كرمان لبعاقبه بخيائته . ثم يرتد من كرمان إلى الشمال ليحارب التركان والملاحدة فيهمهم ويحزيمهم بما اقترفوا في غيبته . ويشرق تلقاء دامغان ليهزم جيشاً من المغول . ويرجع إلى الغرب حين يعلم أن الكرج تألبوا عليه . فيلتقى الجمعان وتأتى على جلال الدين شجاعته ومضاؤه إلا أن يارز أبطال الكرج . وقد قتل أربعة من صناديدهم ولأء ثم حمل على الكرج فهزمهم أجمعين .

هذه سنة سبع وعشرين وستمائة وجلال الدين يعمل ليؤلف أمراء المسلمين ويضرب بهم هذا العدو المدمر فلا يمهله عدوه فيباغته ثلاثون ألفاً من المغول فيهمهم أمامهم ولكن ليستولى على مدينة كنجه .

عشر سنين نازل فيها جلال الدين منكبرتي أحداث الزمان مجتمعة وغلب فيها جهد الأعداء وخيانة الأصدقاء ، وجالدهدو المسلمين وخليفة المسلمين . وحارب المغول والتركين والملاحدة والكرج .

أرأيت جلال الدين نجما يدور به فلك من الخطوب بين المشرق والمغرب ؟ أعلمت أن الرجل العظيم يخلق أحداث التاريخ ولا ينقاد لها . إن يكن مايروى عن جلال الدين مستحيلاً فكم بين حقائق التاريخ من مستحيلات

غياث الدين أخو جلال الدين يسألى الأعداء أيضاً فانظر الى البطل العظيم عام ٦٢٨ وقد اجتمع عليه الأعداء وخانه الاخوة والاصدقاء وناء بقلبه خذلان أعوانه لابطش اقرانه . ها هوذا مكتئباً حزيناً مشرداً يسير في قرى الكرد .